

الرَّسَالَةُ ١١٨

عَزْرًا أَوَّلُ مَنْ اعْتَلَى مِذْبَرًا

(Arabic – The first preacher who used a pulpit)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: عَزْرًا أَوَّلُ مَنْ اعْتَلَى مِذْبَرًا

وَمِنْ سَفَرِ نَحْمِيَا الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ نَقْرًا الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنَ الْعَدَدِ الرَّابِعِ ثُمَّ الْعَدَدَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ:

"وَكَانَتْ أَذَانُ كُلِّ الشَّعْبِ نَحْوَ سَفَرِ الشَّرِيعَةِ.. وَوَقَفَ عَزْرًا الْكَاتِبُ عَلَى مِذْبَرِ الْخَشَبِ الَّذِي عَمَلُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ.. وَفَتَحَ عَزْرًا السَّفَرَ أَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ لِأَنَّهُ كَانَ فَوْقَ كُلِّ الشَّعْبِ.. وَعِنْدَمَا فَتَحَهُ وَقَفَ كُلُّ الشَّعْبِ.. وَبَارَكَ عَزْرًا الرَّبَّ إِلَهَهُ الْعَظِيمِ.. وَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ.. آمِينَ.. رَافِعِينَ أَيْدِيَهُمْ.. وَخَرُّوا وَسَجَدُوا لِلرَّبِّ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ."^١

حَدَّثَ أَنْ حَادَ الشَّعْبُ الْإِسْرَائِيلِي عَنْ طَرِيقِ الرَّبِّ. لِذَلِكَ كَانَ بَقَاؤُهُمْ فِي السَّبْيِ مُدَّةً بَلَّغَتْ سَبْعِينَ عَامًا هُوَ تَأْدِيبُ الرَّبِّ لَهُمْ.. فَلَقَدْ سَجَلَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ عَنْهُمْ بِسَفَرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ الثَّانِي فِي آخِرِ أَصْحَاحَاتِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: "حَتَّى أَنْ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الْأَمَمِ". وَنَجَسُوا بَيْتَ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ. وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ كَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِهِ وَرَزَلُوا كَلَامَهُ وَتَهَانُوا بِأَنْبِيَائِهِ. لِذَلِكَ ثَارَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءً. "فَأَصْعَدَ عَلَيْهِمْ مَلِكَ الْكِلْدَانِيِّينَ وَأَحْرَقُوا بَيْتَ اللَّهِ وَهَدَمُوا سُورَ أُورُشَلِيمَ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ قُصُورِهَا بِالنَّارِ. وَأَهْلَكُوا جَمِيعَ أَنْبِيَائِهَا الثَّمِينَةِ. وَسَيَّى الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّيْفِ إِلَى بَابِلَ". فَكَانُوا لَهُ وَلِبَنِيهِ عِبِيدًا إِلَى أَنْ مَلَكَتْ مَمْلَكَةُ فَارَسَ. فَسَمَحَ لَهُمْ كُورْشُ مَلِكُ فَارَسَ بِالْعَوْدَةِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَإِعَادَةِ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ.^٢

وَفِي صَلَاةِ اعْتِرَافِيَّةٍ قَدَّمَهَا عَزْرًا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ شَعْبِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْجَلُ وَأَخْزَى مِنْ أَنْ أَرْفَعَ يَا إِلَهِي وَجْهِي نَحْوَكِ. لِأَنَّ ذُنُوبَنَا قَدْ كَثُرَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا. وَأَثَامُنَا تَعَاظَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ. مُنْذُ أَيَّامِ آبَائِنَا نَحْنُ فِي إِثْمٍ عَظِيمٍ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَأَلْجَلُ ذُنُوبَنَا قَدْ دُفَعْنَا نَحْنُ وَمُلُوكُنَا وَكَهَنَتُنَا لِيَدِ مُلُوكِ الْأَرْضِ لِلسَّيْفِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَخِزْيِ الْوُجُوهِ كَهَذَا الْيَوْمِ. وَبَعْدَ كُلِّ مَا جَاءَ عَلَيْنَا لِأَجْلِ أَعْمَالِنَا الرَّدِيئَةِ وَأَثَامِنَا الْعَظِيمَةِ لِأَنَّكَ قَدْ جَازَيْتَنَا يَا إِلَهَنَا أَقْلَ مِنْ أَثَامِنَا وَأَعْطَيْتَنَا نَجَاةً كَهَذِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: هَا نَحْنُ أَمَامَكَ فِي أَثَامِنَا لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَقْفَ أَمَامَكَ مِنْ أَجْلِ هَذَا. وَقَدْ سَجَلَ الْوَحْيُ تَأْتِيرَ تِلْكَ الصَّلَاةِ عَلَى شَعْبِ اللَّهِ بِالْأَصْحَاحِ الْعَاشِرِ بِسَفَرِ عَزْرًا بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ: فَلَمَّا صَلَّى عَزْرًا وَاعْتَرَفَ وَهُوَ بَاكٍ وَسَاقِطٌ أَمَامَ بَيْتِ اللَّهِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ إِسْرَائِيلَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ. لِأَنَّ الشَّعْبَ بَكَى بُكَاءً عَظِيمًا. وَيَرْجِعُ نَجَاحُ عَزْرًا فِي تَحْوِيلِ قُلُوبِ الشَّعْبِ رُجُوعًا إِلَى اللَّهِ.^٣ إِلَى الْعَوَامِلِ الْأَرْبَعَةِ الْآتِيَةِ:

أولاً: كَانَتْ صَلَاةُ عَزْرًا بِرُوحٍ مُنْسَقِقٍ وَقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ فِي مَحْضَرِ اللَّهِ.. لَقَدْ صَلَّى عَزْرًا وَهُوَ بَاكٍ وَسَاقِطٌ أَمَامَ بَيْتِ اللَّهِ قَدَّمَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ شَعْبِهِ. كَانَ مُتَقَلِّبًا بِخَطَايَا الشَّعْبِ الْإِسْرَائِيلِي الَّذِي حَادَ عَنْ وَصَايَا الرَّبِّ وَشَرِيعَتِهِ. لَيْتَنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ عَزْرًا كَيْفَ نَنْتَقِلُ بِخَطَايَا الَّذِينَ نَرْجُو خَلَاصَهُمْ وَتَحْرِيرَهُمْ مِنْ عُيُودِيَّةِ إِبْلِيسَ. نَحْمَلُهَا مَعَهُمْ وَنَعْتَرِفُ بِهَا سَاكِبِينَ دُمُوعًا بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ أَمَامَ عَرْشِ نِعْمَتِهِ. نَقْتَدِي بِعَزْرًا الَّذِي صَلَّى وَاعْتَرَفَ وَهُوَ بَاكٍ وَسَاقِطٌ أَمَامَ بَيْتِ اللَّهِ. فَحِينَمَا تَنْكَسِرُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ تَنْكَسِرُ قُلُوبُ الْخَطَاةِ أَيْضًا. طَالِبِينَ خَلَاصَ الرَّبِّ فَيُنَالُوا رَحْمَتَهُ. لَمَّا عَادَ الْمَسْبُيُونَ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَادَهُمْ عَزْرًا إِلَى صَلَاةٍ تَوْبَةٍ وَاعْتِرَافٍ. وَمَعَهُ نَحْمِيَا رَجُلٌ اللَّهُ الَّذِي سَمِعَ وَهُوَ فِي بَابِلَ أَنَّ الْبَاقِينَ الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّبْيِ فِي أُورُشَلِيمَ فِي شَرِّ عَظِيمٍ وَعَارٍ.

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر نحما ٨ : ٤

^٢ سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ١٤ - ٢٣

^٣ سفر عزرا ٩ : ٦ - ٧ & ١٣ - ١٥ & ١٠ : ١

لقد كتب نَحْمِيَا في مُسْتَهَلِّ سفره هذه الكلمات: فَلَمَّا سَمِعْتُ هذا الكلام جَلَسْتُ وَبَكَيْتُ وَنَحْتُ أَيَّامًا وَصُمْتُ وَصَلَيْتُ أَمَامَ إِلَهِ السَّمَاءِ.. وَحِينَ عَادَ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَامَ بِتَرْمِيمِ سُورِ أُورُشَلِيمِ الْمُنْهَدِمِ حَتَّى أْتَمَّهُ.. ثُمَّ اشْتَرَكْتُ مَعَ عَزْرَا فِي ضَمِّ صُفُوفِ الشَّعْبِ الضَّالِّ. وَكَانَ الْإِثْنَانُ لهُمَا الْقَلْبُ الْوَاحِدُ الْمَثَلُ بِالصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِهِمْ.. وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ لَصَلَاتِهِمَا الْمُقْتَدِرَةَ.. فَكَانَا قَادِرِينَ عَلَى إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ فِي قُلُوبِهِمْ.. وَبِقُوَّةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ تَحَوَّلَ الشَّعْبُ رُجُوعًا إِلَى اللَّهِ.^١

ثانيًا: أَحْضَرَ عَزْرَا الْكَاتِبُ سَفَرَ الشَّرِيعَةِ وَبَدَأَ الْقِرَاءَةَ فِيهِ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ.. يَقُولُ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ: "لَأَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ".. وَبِسَفَرِ نَحْمِيَا الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ نَقَرْنَا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: "اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِلَى السَّاحَةِ الَّتِي أَمَامَ بَابِ الْمَاءِ وَقَالُوا لِعَزْرَا الْكَاتِبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسِفَرِ شَّرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ فَاتَى عَزْرَا الْكَاتِبُ بِالشَّرِيعَةِ أَمَامَ الْجَمَاعَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَقَرَأَ فِيهَا مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ وَكَانَتْ أَدَانُ كُلِّ الشَّعْبِ نَحْوَ سِفَرِ الشَّرِيعَةِ".

لقد وقفَ عَزْرَا الْكَاتِبُ عَلَى مَنبَرِ الخَشَبِ الَّذِي عَمَلُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَبَارَكَ عَزْرَا الرَّبَّ الْإِلَهَ الْعَظِيمَ وَأَجَابَ جَمِيعَ الشَّعْبِ آمِينَ آمِينَ رَافِعِينَ أَيْدِيَهُمْ وَخَرُّوا وَسَجَدُوا لِلرَّبِّ عَلَى وُجُوهِهِمْ.. أَفْهَمَ الْمُعْلَمُونَ الشَّعْبَ الشَّرِيعَةَ وَهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ وَقَرَأُوا لَهُمْ فِي السَّفَرِ فِي شَّرِيعَةِ اللَّهِ بَيَانًا وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ.. وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ اسْتَقَى الْمُعْلَمُونَ أَقْوَالَهُمْ؟. الْإِجَابَةُ: مِنْ أَقْوَالِ اللَّهِ. فَبِكَلَامِ اللَّهِ يَتَبَكَّتُ النَّاسُ وَيَتَحَوَّلُونَ إِلَى أَنَاسٍ آخَرِينَ.^٢

ثالثًا: فَرِحَ الرَّبُّ هُوَ قُوَّةَ شَعْبِ اللَّهِ.. لَقَدْ خَتَمَ نَحْمِيَا وَعَزْرَا الْمُؤْتَمَرَ الشَّعْبِيَّ الْمُقَدَّسَ بِقَوْلِهِمْ لِلْمُجْتَمِعِينَ: هَذَا الْيَوْمَ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ لَا تَتَوَخَّوْا وَلَا تَبْكُوا لِأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ. لَقَدْ كَانَ التَّبَكُّيْتُ عَظِيمًا وَالنَّوَاخُ شَدِيدًا فِي ذَلِكَ الْجَمَاعَةِ الْحَافِلِ أَمَامَ مَنبَرِ عَزْرَا. لَمَّا فَهَمُوا كَلَامَ الشَّرِيعَةِ بَكَوا عَلَى خَطَايَاهُمْ بِقُلُوبٍ مُنْكَسِرَةٍ بِتَأْتِيرِ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي سَمِعُوهُ مِنْ قَادَتِهِمْ عَزْرَا وَنَحْمِيَا اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَادَةِ الَّذِينَ عَرَفَهُمُ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ. لَمْ يَكُنْ هَدَفُ عَزْرَا وَنَحْمِيَا تَبَكُّيْتُ النَّاسِ عَلَى خَطَايَاهُمْ وَحَسَبَ. بَلْ كَانَ الْهَدَفُ هُوَ رُجُوعُ النُّفُوسِ إِلَى الرَّبِّ وَالِاتِّصَاقُ بِهِ وَقَدْ تَحَقَّقَ الْهَدَفُ لِأَنَّهُمْ فَهَمُوا الْكَلَامَ الَّذِي عَمَلُوهُمُ إِيَّاهُ. فَلِيَفْرَحِ الْآنَ الشَّعْبُ وَيَبْتَهِجَ. لِذَلِكَ بَدَأُوا يَفْرَحُونَ فَرَحًا عَظِيمًا.

أحسَّ عَزْرَا وَنَحْمِيَا بِخَبَرَتِهِمْ أَنَّ هَذِهِ النُّفُوسَ الَّتِي رَجَعَتْ إِلَى الرَّبِّ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ بِالرَّاحَةِ وَالسَّلَامِ فِي مَحْضَرِ الرَّبِّ. فَفِي مَحْضَرِهِ يَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّهَدُّ وَيَعْمُ الْفَرَحُ وَالبَهْجَةُ. لِذَلِكَ سَارَعَ نَحْمِيَا وَعَزْرَا الْكَاهِنَ وَاللَّاوِيِّونَ الْمُفْهَمُونَ الشَّعْبَ وَقَالُوا لِلْمُجْتَمِعِينَ: هَذَا الْيَوْمَ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ لَا تَتَوَخَّوْا وَلَا تَبْكُوا لِأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ. فَذَهَبَ كُلُّ الشَّعْبِ لِيَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا وَيَعْمَلُوا فَرَحًا عَظِيمًا. لِأَنَّهُمْ فَهَمُوا الْكَلَامَ الَّذِي عَمَلُوهُمُ إِيَّاهُ.^٣

رابعًا: التَّأْتِيرُ الْإِجَابِيُّ الَّذِي أُحْدِثَهُ مَنبَرُ عَزْرَا لَمْ يَكُنْ تَأْتِيرًا وَقْتِيًّا.. بَلْ كَانَ تَأْتِيرًا إِيْجَابِيًّا مُسْتَمِرًّا. إِذْ مَكْتُوبٌ: وَكَانَ يُقْرَأُ فِي سَفَرِ شَّرِيعَةِ اللَّهِ يَوْمًا فَيَوْمًا مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ. وَعَمَلُوا عِيدًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ اعْتِكَافٌ حَسَبَ الْمَرْسُومِ. ثُمَّ يَذْكَرُ نَحْمِيَا فِي سِفَرِهِ الْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ اجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالصُّومِ وَعَلَيْهِمْ مَسُوحٌ وَتَرَابٌ.

لقد انفصلَ نَسْلُ إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ الْغُرَبَاءِ وَوَقَفُوا وَاعْتَرَفُوا بِخَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِ آبَائِهِمْ. وَأَقَامُوا فِي مَكَانِهِمْ وَقَرَأُوا فِي سَفَرِ شَّرِيعَةِ الرَّبِّ إِلَهُهُمْ رُبْعَ النَّهَارِ. وَفِي الرَّبِّيعِ الْآخِرِ كَانُوا يَحْمَدُونَ وَيَسْجُدُونَ لِلرَّبِّ إِلَهُهُمْ. لِيَتَنَا نَتَعَلَّمَ مَا تَعَلَّمَهُ شَعْبُ اللَّهِ قَدِيمًا مِنْ عَزْرَا وَنَحْمِيَا. لِنَفْصِلَ عَنِ الْأَشْرَارِ وَنَجْتَمِعَ بِصُومٍ عَاكِفِينَ عَلَى قِرَاءَةِ الْكَلِمَةِ وَنَعْتَرَفَ بِخَطَايَانَا بِقُلُوبٍ مُنْكَسِرَةٍ وَبَارُوحٍ مُنْسَحِقَةٍ. وَنَقْدَمَ شُكْرًا وَحَمْدًا لِإِلَهِنَا الَّذِي لَا يَرْفُضُ تَوْبَةَ الرَّاجِعِ إِلَيْهِ.^٤

عزيزي القارئ.. أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ يَا غَافِرَ الْإِثْمِ وَالصَّافِحَ عَنِ الذَّنْبِ مِنْ أَجْلِ الدَّمِ الْمَسْفُوكِ عَلَى الصَّلِيبِ.. أَشْكُرُكَ يَا مَنْبَعَ الْفَرَحِ الْحَقِيقِيِّ وَالسَّلَامِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلِ. أَسْأَلُكَ كَيْ تَمْلَأَنِي بِرُوحِكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ.. يَا مَنْ وَعَدْتُ بِقَوْلِكَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر نحميا ١: ١ - ٤

^٢ الرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ٤: ١٢ ، سفر نحميا ٨: ١ - ٨

^٣ سفر نحميا ٨: ٩ - ١٨

^٤ سفر نحميا ٩: ١ - ٣